فضل
عشر ذي الحجة

ألقي في ذي القعدة من عام ١٤٤٢

من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

٢٥ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا هو لقاؤنا الأول في هذا الموضوع المهم، وهو:

فضل عشر ذي الحجَّة

نذكّر أنفسنا بهذه النعمة العظيمة التي ستُقبل علينا، فنبدأ مستعينين بالله أوَّلًا بالتذكير بمفهوم غاية في الأهمية، وهو:

مفهوم الرُّبوبيَّة

وننطلق من اسم عظيم من أسماء الله تعالى، وهو **اسم الرّب**، هذا الاسم العظيم الذي نعيش في آثاره أيّامنا كلها، هذا الاسم العظيم يظهر في حياتنا كل حين، رُّبنا العظيم هو ربُّ العالمين الذي ربّى العالمين بنعمه، فله الحمد سبحانه على ذلك.

ونحن نقول: الحمد لله ربِّ العالمين، يعني الثناء على الله، أي: المدح بالكمال إنما هو لله، ولا أحد يشاركه في كمال الثناء، فـ(ال) هنا للاستغراق، استغراق جميع أجناس الحمد وثبوتها لله تعالى على كماله.

ويظهر كماله -سبحانه وتعالى- في تربيته لعباده، والتربية معناها: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وهو سبحانه أوصل الخلق إلى

كمالهم شيئًا فشيئًا؛ فهو الذي أوصل لهم الخيرات التي تغذّي أبدانهم، وأوصل لهم الخيرات التي تغذي أرواحهم.

ربُّنا العظيم هو ربُّ العالمين، الرحمن الرحيم، الذي من آثار تربيته لخلقه ورحمته بهم- بعد أن خلق أبدانهم وأرواحهم- أن خلق لهم ما يتعيّشون به، خلق لهم ما في الأرض جميعًا، امتنَّ عليهم بتهيئة المكان، وتسهيل الأمور وتيسيرها عليهم، ثمّ إيصالهم للكمال، الكمال البدنيّ الّذي يعين أبدانهم على أن تكون في أحسن حال، والكمال النفسيّ الّذي يوصل أرواحهم -التي هي أصلهم وأصل كمالهم- إلى أعلى المراتب، فأبداننا تكتمل بما شاء الله من تغذية، وأرواحنا تصل إلى ما شاء الله من ترقية.

- **ما علاقة هذا بما سنستقبل من نعمة العشر العظيمة؟**

من آثار تربية الله لخلقه وتكميلهم أن شرع لهم هذه المواسم العظيمة؛ فحين أراد سبحانه أن يبلّغهم إلى الكمال جعل في أعمارهم أيّامًا لها خصوصيّة تجعل الموفَّق يسعى لتكميل نفسه بما أنعم عليه ربُّه من غنائمها.

- **لكن ما هي صفة هذا الموفَّق الذي سيلاحظ خصوصيَّة هذه الأيَّام وميزتها عن سائر الأيّام، ومن ثم سيبادر لجني ثمارها؟**

إنه العبد الذي عرف وظيفته في هذه الحياة !

إنّ من يعرف وظيفته في الحياة ويستسلم لهذه الوظيفة ويسير سير من يريد أن يتقدّم في هذه الوظيفة سيجد أن الله تعالى قد جعل في حياته أيّامًا تُعينه على هذا الكمال، تُعينه على الوصول إلى شفاء الروح، وإلى صلاح النفس، وإلى الترقّي في طُرق الخير، وبهذا تَحِلُّ عليه السعادة الدنيويّة والسعادة الأخرويّة.

إنّ السعيد هو من يكرّس كل جهوده للقيام بوظيفته، ولا تعاسة إلا لمن غفل عن وظيفته، أو تغافل عنها، أو لم يتعلّمها ويجتهد في فهمها، فمن هنا تأتي التعاسة؛ ولهذا كان من الواجب عند كل فرصة للترقّي في هذه الوظيفة أن نذكّر بهذه الوظيفة التي بيّنها لنا الوحي بيانًا شافيًا، فنحن بلا شك لن نترقّى إلا بالوحي الذي جاء يدلُّنا على طريق الترقّي، ومن الوحي جاءت هذه الأخبار العظيمة عن أيام العشر التي ستكون لمن اغتنمها سبيلًا للترقّي في الوظيفة([1]).

- **فما هي هذه الوظيفة التي نعيش حياتنا لها، والتي لأجلها سنشعر بقيمة العشر من ذي الحجة، وسنشعر بكونها كنزًا لا يُفوَّت؟**

ورد بيان هذه الوظيفة في كتاب الله في مواطن متعدّدة، وبصيغ مختلفة، لكن كلّها تصبُّ في نفس المعنى وفي نفس الغاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فمن كانت هذه صفته سيفهم من القرآن ما هي هذه الوظيفة، وسنختار في هذه العجالة ما يتيسّر من

---

[1]() ولهذا كان القرآن من نعم الله علينا، وكانت سنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من نعم الله علينا، نسأل الله عزّ وجلّ أن يحفظ علينا هذه النعم.

المواطن من أول القرآن ومن آخره لنتعرّف على هذه الوظيفة، ومن ثمَّ نشعر بقيمة الفرصة التي أمامنا؛ لأن من عرف وظيفته عرف قيمة الفرص:

1- **قصة خلق آدم:** هذه القصة العظيمة هي قصة خلقنا وبداية وجودنا التي يحاول أهل الباطل أن يشوّهوها، يحاولون أن يلحقونا بمن مسخهم الله قردة، فأولئك القوم الذين مسخهم الله قردة لم يرضوا أن يكونوا هم وحدهم الممسوخين، بل أرادوا أن يعمِّموا هذا على العالم كلِّه، والحقُّ المبين هو ما قاله ربُّ العالمين:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) فهذه بداية قصة خلق آدم -عليه السلام-، خلقه الله تعالى بيديه، وأراد أن يكون خليفة في الأرض، فما هي وظيفته؟

انظر إلى الملائكة الكرام المعظِّمين لربِّ العالمين، المحبّين للخير، الباغضين للشرّ، كيف يصوّرون هذا المعنى:

(قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ) وهذا خطر كبير؛ فالفساد وسفك الدماء أخطر ما يكون، وهو شرٌّ تبغضه الملائكة ويبغضه كل من يحبُّ الله([2]).

---

[2]() كيف عرفت الملائكة أن هذا سيحصل؟ ذكر المفسرون أقوالًا كثيرة، منها:

- أنهم عرفوا أن هذا الإنسان جبلّته مختلفة عن جبلّتهم، فهو متمكّن من الخير ومتمكّن من الشرّ، في مقابل أن جبلّة الملائكة إنما هي محبّة للخير مقبلة عليه كارهة للشرّ، ولا تدفعها الشهوات أبدًا للشرّ.
- أو يمكن أن يكون الله علّمهم هذا المعنى.
- أو يكون سابق حال للجن. والله أعلم.

وسؤالهم هذا ليس اعتراضًا على رب العالمين، وإنما تعظيمًا له وكراهية للشر والفساد.

(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)[3] هذه هي الوظيفة، فالملائكة هنا أخبرت عن الوظيفة العظيمة التي تقوم هي بها والتي يجب على الإنسان أن يقوم بها؛ لكنّه سينشغل عنها ويذهب إلى الفساد وسفك الدماء، ولهذا رأت الملائكة أن هذا الإنسان إن كان سيعبد وفي نفس الوقت يمكن أن يصدر منه الفساد وسفك الدماء، فالأحسن ألّا يكون موجودًا، وأن يكون الموجود هو من يعبد فقط، فذلك خير من أن يكون هناك فاسدون وعابدون.

هذا ما كانت تقصده الملائكة، كأنّها تقول: كيف يُستخلف هؤلاء في الأرض مع أنّ منهم من يفسد فيها ويسفك الدماء؟! فإذا كان المراد العبادة فنحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، يعني لا يصدر منّا شيء من هذا الشرّ، فهلّا كان الاقتصار على العابدين؟

السؤال الآن: من هم العابدون؟ كيف عبّرت الملائكة عن العابدين؟

عبّروا عنه بقولهم: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)**، ومعنى ذلك أن هذه هي حقيقة العبادة: أن نسبّح بحمد الله ونقدّس له أنفسنا، أو نقدّس لك -على المعنى الآخر- أي نُنزِّهك.

أين شاهدنا؟

شاهدنا أن هذا التسبيح والتحميد والتقديس هو وظيفة ابن آدم التي يمكن أن يتركها ويذهب فيفسد في الأرض.

---

[3] () البقرة: 30.

نعم هذه وظيفته، ومن هنا تنطلق كلُّ الأعمال؛ ولهذا كان الواجب أن نهتمَّ جدًّا بمسألة التسبيح والتحميد، **(نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ)** يعني: سبحان الله وبحمده، وأن نهتمَّ جدًّا بمسألة التقديس: **(وَنُقَدِّسُ لَكَ)**، نهتمّ بهذين الأمرين غاية الاهتمام.

ويحسن هنا أن نذكّر بأن العمل في عشر ذي الحجَّة والذي أوصى به رسولنا الكريم هو كثرة ذكر الله، ومنه التسبيح والتهليل والتكبير، وهذا يزيدنا تأكيدًا على أن العبادة يمكن أن تتمثّل في هاتين الكلمتين: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)**، ومعنى ذلك أن أحسن الأعمال في هذه العشر -التي هي ذكر الله ذكرًا كثيرًا باللسان مواطئًا للجنان- هي أعمال تدلُّ على وظيفة الإنسان؛ فلا عجب أن تكون هذه العشر أفضل أيام الدنيا؛ لأن أعمالها لو دخلت إلى الفؤاد وامتلأ بها سيصل الإنسان للقيام بوظيفته، وقد ورد في الحديث: **«أعظمُ الأيّامِ عند اللهِ يومُ النَّحرِ ، ثم يومُ القُرِّ»**[4].

وورد في الحديث: **«ما من أيّامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ من هذه الأيّامِ العَشْرِ، قالوا: ولا الجهادُ في سَبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ في سَبيلِ اللهِ، إلَّا رجُلٌ خرَجَ بنَفْسِه ومالِه، ثم لم يَرجِعْ من ذلك بشيءٍ»**[5].

---

[4] () أخرجه أحمد (19075) وأبو داود (1765).

[5] () أخرجه البخاري (969).

وورد في الحديث: **«ما من أيّامٍ أعظمُ عندَ اللهِ ولا أحبَّ إليه العملُ فيهنَّ من هذهِ الأيامِ العشرِ، فأكثروا فِيهنَّ من التهليلِ والتكبيرِ والتحميدِ»**[6].

الخلاصة إذًا هي: أنّ هذه الأيّام اختُصّت بفضل، وكان أعظم الأعمال فيها هو الذكر؛ التسبيح والتحميد والتكبير، وهذا سيردّنا إلى ما قالت الملائكة: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** فأصبح التسبيح والتحميد والتكبير يمثل العبادة، يمثل وظيفتنا في الحياة.

وعلى هذا ففهم معنى **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** فهمًا عظيمًا هو من أهمِّ المهَّمات في حياتنا لأجل أن نتصوَّر وظيفتنا، وعلى هذا كان علينا أن نبدأ بذكر ما يعيننا على فهم معناها:

سبحان الله: معنى التسبيح هو: التنزيه، فالإنسان وظيفته أن يُنزّه الله عن كلّ ما لا يليق به.

وبحمده: أي ينزّه الله عن النقص وهو متلبّس بالحمد، بمعنى: ينزّهه وهو معتقد اعتقادًا تامًّا أنّ الله يستحقُّ الحمد لمَا له من كمال الصفات. (هذا معنى الحمد، فالحمد هو الثناء على الله بكماله، يعني اعتقاد أنه -عزّ وجلّ- كامل الصفات).

معنى ذلك أن الذي يسبّح بحمد الله يجمع بين أمرين:

1- نفي النقص عن الله.

---

[6]() أخرجه أحمد (5446).

2- اعتقاد أنّ الله تعالى كامل الصفات.

فـ(**نسبّح بحمدك**) تعني: ننزّهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ننزّهك ونحن معتقدون كمالك.

هل حقًّا هذه وظيفتنا؟ نعم، خُلقنا من أجل أن ننزّه الله عن النقائص، ونثني عليه بكمال صفاته، وقد ذُكر هذا المعنى نصًّا في كتاب الله، ومن أعجب العجب أنه ذُكر في أواخر سورة الطلاق.

لكن قبل أن ننتقل لسورة الطلاق نراجع الكلام باختصار لتبقى العلاقة مع عشر ذي الحجّة متّضحة لنا:

ابتدأنا الكلام بأن ربّنا العظيم ربّى أبداننا، وربّى أرواحنا، والتربية معناها التنمية، والتحويل من حال النقص إلى حال التمام، فالإنسان تمرُّ عليه في حياته فرص ليكمّل نفسه، يكمّل روحه التي هي أصله، وعشر ذي الحجة جاءت فرصة لنا متكررة كل عام من أجل أن نكمّل أنفسنا، ولن تشعر بأنها فرصة إلّا إذا عرفت وظيفتك في الحياة؛ لأن العمل في عشر ذي الحجة يطابق تمامًا وظيفتنا في الحياة، فما وظيفتنا في الحياة؟

قلنا سنرى مواطن تخبرنا عن وظيفتنا في الحياة، فبدأنا بكلام الملائكة الذي عبّرت فيه عن هذه الوظيفة، حيث كانت ترى أن الإنسان المتمكّن من الفساد لن يستطيع أن يقوم بوظيفته كما ينبغي، وكانت ترى أنها تقوم بالوظيفة كما ينبغي: (**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ**

وَنُقَدِّسُ لَكَ) فاستفدنا من كلام الملائكة أن الوظيفة التي يجب أن يقوم بها الإنسان هي هذا التسبيح والتحميد والتقديس، وكان سؤالنا: ألهذا وُجِدنا؟ والجواب: نعم؛ بل خُلقت السماوات والأرض لأجل هذا.

هل عندنا دليل على ذلك؟

نعم، عندنا دليل واضح جدًا في آخر سورة الطلاق([7]).

ومن هنا أتى انتقالنا إلى سورة الطلاق:

قال تعالى: **(ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا)**.

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ) (الذي) اسم موصول يبيّن أن هذه الأفعال أفعاله -سبحانه وتعالى- الدالّة على عظيم قدرته.

(يَتَنَزَّلُ الأَمرُ بَيۡنَهُنَّ) يتنزّل الأمر القدريُّ والأمر الشرعيُّ بين السماء والأرض.

لِمَ خلق الله هذا الخلق وأجرى هذه الأحكام وكانت هذه سنّته؟

الجواب: **(لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا)**([8]) لأجل أن يعرفه العباد، ويعلموا إحاطة علمه بالأشياء

---

[7]) وهذا ليس الدليل الوحيد؛ بل سيأتينا بعد ذلك تفاصيل لهذا الدليل.

[8]) الطلاق: 12.

كلها، وإحاطة قدرته بالأشياء كلها، فسبحان ربنا العظيم خلق هذه المخلوقات كلها لمعرفته.

قال الشيخ السعدي:

"فإذا عرفوه بأوصافه المقدّسة وأسمائه الحسنى وعبدوه وأحبُّوه وقاموا بحقِّه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر، معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفَّقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك الظالمون المعرضون".

هل معنى ذلك أن أصل الوظيفة هو المعرفة؟

الجواب: نعم، فإذا حصلت المعرفة حصل ما وراءها من العبادة، والعبادة هنا أصلها أن يصف الإنسان ربَّه بالكمال، وينفي عنه صفات النقص: **(لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)**!

يحصل الأمر الشرعيُّ والأمر القدريُّ وتمرُّ عليك المواقف والأحداث والأحوال لتزداد يقينًا بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

أمر عظيم، لكن الغفلة عن هذا جعلت الناس يفسّرون ما يقع عليهم بعيدًا عن معرفة الله سبحانه، وهذا باب عظيم لو دخلنا فيه وذكرنا من القرآن ما ورد في بيانه فلن ننتهي، **لكن هذه قاعدة:**

كلُّ الاختبارات التي تمرُّ عليك سواء في السعة أو الضيق فإنّ المقصود بها أن يظهر منك تعظيم ربِّ العالمين، وتنزيهه عن النقائص، ووصفه بالكمالات.

وهذا في أمور حياتنا يكون مسألة غيبيّة، إلّا من تعلّم فإنه يرى الأمور أمامه تامَّة الوضوح، فمن تعلّم أسماء الله وصفاته وأفعاله وتعلّم كيف هي سننه في خلقه قرأ الدنيا كأنّها كتاب مفتوح، ومن لم يتعلّم كان أمّيًّا؛ لأن الدنيا مكتوبة بلغة لا يستطيع أن يقرأها إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وأفعاله.

ولكي تتأكّد من أنّ المقصود من كل الاختبارات هو العلم عن الله الذي يخرجك منزِّهًا لله وواصفًا له بالكمال، سنلقي نظرة سريعة على سورة الطلاق التي بيّنت لنا هذا الأمر العظيم، فالطلاق نوع من الابتلاءات يعلّمك أنّ الله يعلم، وأنّه على كل شيء قدير:

في سورة الطلاق نقرأ أوّلًا عن الطلاق، وعن الأسرة وأحكام الأسرة، فيبيّن عزّ وجلّ هذه الأحكام العظيمة، خصوصًا أن هذه الأحكام تحتاج أن يكون الإنسان غاية في العلم عن الله وقت حصول هذه الأحداث؛ لأن ما بين الرجل والمرأة وما يحصل في البيوت لا يطَّلع عليه إلّا الله، ولهذا من البداية حذّر تعالى فقال: **(وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)**[9].

---

[9]() الطلاق: 1.

ثم قال تعالى: **(لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا)**: الله الذي هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم لعلّه -عزّ وجلّ- يُحدِث بعد ذلك أمرًا.

ثم تأتي الآية الثانية: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)**: الله الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير يجعل لمن يتقيه مخرجًا.

ثم تأتي الآية الثالثة: **(وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا)**: الله الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير يرزق المتّقي.

ثم تأتي الآية الرابعة وتختم بـ: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)**.

ثم الآية الخامسة: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)**.

ثم الآية السابعة: **(سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)**.

سبحان ربِّنا العظيم! هذا كلُّه في سورة الطلاق لتعلم أن كل اختبارات الحياة إنما ليَختبر اللهُ عِلمَك عنه، ويقينَك بأنَّك تعامله -عزَّ وجلَّ-، فإنّ مَن اتّقى الله في طلاقه فطلَّق كما أمر الله ورسوله أغناه عن الحِيَل كلِّها، وجعل له مخرجًا، ولو اتّقى اللهَ عامَّةُ المطلّقين لاستغنوا بتقواه عن الآثام والأهواء والمكر والحِيَل كما يقول ابن القيّم رحمه الله تعالى.

كل هذه الأخبار المتتالية تخبرك بأنّ الله على كل شيء قدير، وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

ثُمّ في الآية الثامنة تحصل انتقالة يتصوّر الإنسان في بداية الأمر أنّها بعيدة تمامًا عن الأسرة:

(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابا شَدِيدا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابا نُّكْرًا)[10]: هذا تحذير عظيم من الوقوع في مخالفة أحكام الله ورسله، ليس للأسرة الآن إنما للمجتمع كلِّه؛ فالله تعالى ذكَّر المسلمين بما حلَّ بأقوام من عقاب عظيم على قلَّة تعظيمهم لربِّ العالمين، فقال: **(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ ربها)** يعني تعدَّت، فماذا حصل لها؟

(فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا)، **(وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا)**، **(فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا)**، **(وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا)**[11].

وهذا التحذير في الحقيقة ليس بعيدًا عن الأسرة؛ فالأُسرة هي الأساس، ولو حصل فيها تعدٍّ على حدود الله وعدم ضبط للنفس وعدم امتثال لأمر الله لفسدت، وإذا فسدت الأسرة فسد المجتمع، فالصغير يثير الجليل، والذي في الأسرة يمتدُّ إلى المجتمع، فإذا وقع في هذه الأسرة ظلم، ووقع في تلك الأسرة ظلم، وفي الثالثة والرابعة والعاشرة؛ فهذا يعني أنّ هذه الأسر كلَّها لا تعرف ربَّ العالمين،

---

[10]) الطلاق: 8.

[11]) الطلاق: 9.

وبالتالي ستصبح هذه القرية كلُّها لا تعرف ربَّ العالمين، وإذًا سيستحقون ما يقع عليهم من الهلاك.

حين تُعامل الخلق وتنسى أنك تعامل ربَّ العالمين -خاصَّة في مثل هذه المسائل الدقيقة التي لا يطَّلع عليها أحد- يمكن أن يحصل افتراء وكذب، يمكن أن تُتَّهم المرأة بالفاحشة وهي بريئة منها، ويمكن أن تَتَّهم المرأةُ الرجلَ باتِّهامات وهو لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، أو أن يأتي بشواهد أنه ينفق عليها مثلًا، وهكذا يحصل الصراع لمن لا يتَّقي الله.

وعلى هذا؛ فلا تتهاون في الشريعة، إذا كنت صاحب عقيدة لا تتهاون في الشريعة فيلقي بك ذلك في مهاوي الضلال.

استقم على أمر الله وسيجعل لك من أمرك يسرًا، مَن يتَّقِ الله يجعل له مخرجًا، مَن يتَّقِ الله يجعل له من أمره يسرًا، اسمع وعود الله وثِق بها، واعلم أن الذي لا يتّقي الله ولا يفعل ما أمره الله به ويتعدّى فهذا في مكنون نفسه لا يعرف ربَّ العالمين، لا يعرف من هو الله، لا يعرف أنَّ الله يأخذه أَخْذ عزيز مقتدر كما أخذ تلك القرية التي عتت عن أمر ربها.

ولهذا بيَّنت لنا السورة في خاتمتها أنَّكم في غنًى عن هذا، فالله أرسل لكم رسولًا يخرجكم من هذه الظلمات إلى نور معرفة الله التي من أجلها خُلِقت السماوات والأرض.

فسبحان ربِّنا العظيم! خُلِقنا لغاية عظيمة يجب ألا نغفل عنها أبدًا، وستكون فرصتنا العظيمة في هذه العشر أن نبقى لربِّنا معظِّمين ذاكرين مخلصين، لا بدَّ أن نشعر أننا سَنُقدِم على نعمة عظيمة يجب التمتع بها لكي يكون أثرها في الفؤاد عظيمًا.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن نزداد من معرفة ربِّ العالمين حتَّى تطمئنَّ القلوب ونجد برد اليقين، اللَّهم آمين.

اللقاء الثاني

26 ذو القعدة ١٤٤٢ هـ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمَنِّه وكرمه أن يبلّغنا هذه العشر العظيمة التي خصَّها الله -عزّ وجلّ- بفضائل، وهو العليم الكريم الحكيم الذي منَّ على عباده بمواسم تزيدهم إيمانًا، وتُيسِّر لهم العلوَّ والارتفاع في مراتب الجنان.

رحمٰن رحيم -سبحانه وتعالى-، كم أنعم على العباد في دنياهم من أجل أن تصلح لهم أخراهم!

كم عرض علينا في هذه المواسم -بل في هذه الأيَّام والليالي التي نقطعها للوصول إليه- من تجارات رابحة!

تجارة مع ربِّ العالمين، يربح أهلها ربحًا عظيمًا، لكنَّ الناس شُغِلوا عنها، إلّا الكُمَّل الذين جاء وصفهم في عدّة مواطن من كتاب الله مع كلمة (التجارة)، ليبيِّن لنا ما هي التجارة الحق، وكيف يكون التعامل معها:

- قال تعالى في سورة النور: **﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾**[12].

---

[12]() النور: 37.

• وقال تعالى في سورة فاطر: **(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)**[13].

• وقال تعالى في سورة الصف: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)**[14].

فهؤلاء القوم عرفوا أن أيّام العبد ولياليه عبارة عن صفقات وتجارات؛ فاغتنموا فضل ربِّ العالمين حين عرض عليهم مواسم يتاجرون فيها معه، فالتجارة ما هي إلا تصرُّفٌ في رأس المال طلبًا للربح، ورأس مال المؤمن هو وقته وأنفاسه، ومنتهى هذه التجارة مماته.

ماذا تفعل بأنفاسك هذه؟

تبذلها من أجل أن تزداد إيمانًا بالله وبرسوله، تبذلها في تحرير ما في قلبك من عقائد تجاه ربِّ العالمين واليوم الذي تلقى فيه ربَّ العالمين.

تبذل مالك في سبيل الله، وتبذل وقتك وجهدك في سبيل الله، فهذه هي الصفقة الرابحة التي لا تخسر، ومن تفوته هذه الصفقة هو الخاسر، وفي هذه التجارة نحن نقوم بوظيفتنا مع ربِّ العالمين، وقد

---

[13]() فاطر: 29.
[14]() الصف: 10.

قال الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم: **«كلُّ النَّاسِ يغدو فبائعٌ نفسَه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها»**[15]، فهذا هو الشأن الذي نحن فيه؛ إمّا نعتق أنفسنا أو نوبقها، نعوذ بالله من الخسار.

وعلى هذا؛ فلا نضيّع أنفسنا النفيسة بأن نبيعها بشيء من الدنيا، فذاك هو الغبن.

لَئِنْ ذَهَبَتْ نفسي بدنيـــا أُصيبهـا لقد ذَهَبَتْ نفسي وقد ذهب الثَّمَنْ

أما الرّبح كل الرّبح فهو في التجارة مع الله، في معاملة الله إيمانًا به وبرسوله، وجهادًا بالمال والنفس، والبذل من أجل أن نصل إلى هذه النتيجة العظيمة وهي النجاة.

الشاهد الآن أن هذه التجارة تستحقُّ منا التوقُّف -خصوصًا في هذه المواسم- والنظر والتفكير من أجل أن نربح أعظم الرّبح، وهذه التجارة هي التي يقوم أصحابها فيها بوظائفهم، فهذا الذي يتاجر مع رب العالمين برأس ماله الذي هو وقته إنما يقضي وقته في القيام بوظيفته.

فما أعظم كرم الله حين جعل قيامنا بوظيفتنا تجارة رابحة لنا !

هذا يصوّب تفكيرك ويجعله دائرًا حول أصل الوظيفة التي تعيش لها، حتى إذا سرت في الحياة يكون قد تنشَّط في نفسك أصل هذه التجارة مع الله، أصل معاملة الله، أصل طاعة الله، أصل عبادة الله،

---

[15]() أخرجه الترمذي (3517).

وقد عبّرت عنه الملائكة كما اتّفقنا بقولها: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)**.

وقد تبيَّن لنا شيئًا من معنى **(نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ)**، وتبيَّن أن وظيفة الإنسان في الدنيا أن ينزّه الله عن النقائص من جهة، وأن يصفه بالكمال من جهة أخرى، وأن كل الأحداث التي تمر علينا إنما هي لاستخراج هذا منّا، وهذا معناه أن أي شيء يمر علينا صغيرًا كان أو كبيرًا لا بد أن يكون في نفوسنا تجاهه اليقين بكمال رب العالمين، وتنزيهه -عزّ وجلّ- عن كل نقص.

ولنتأمّل مصداقًا لهذا حدثًا حصل مع موسى -عليه السلام- لنعرف الوظيفة كما ينبغي:

هذا الحدث مناسب جدًّا لعشر ذي الحجة من جهة، ويبيّن لنا وظيفتنا من جهة أخرى:

- ولنبدأ **بالأمر الأول** المتعلّق بالعشر:

قال تعالى: **(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**[16]: قال أهل العلم إن هذه المواعدة كانت -والله أعلم- بعد أن خرج بنو إسرائيل من مصر واستقرّ أمرهم، فقضى معهم أيّامًا طويلة رتّب فيها أمورهم، وبيّن لهم أحوالهم، وكيف تكون أوضاعهم من جهة طاعتهم لربهم، وبعدها كان ميقات ربه لإعطائه -عليه السلام- التوراة.

---

[16]() البقرة: 51.

وقال أهل العلم إن هذا اللقاء الموعود إنما كان في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، أي أن هذه الثلاثين تبدأ من أول يوم في ذي القعدة وتنتهي آخر يوم في ذي القعدة، وقد صام موسى -عليه السلام- في هذه الأيّام، وناجى ربه، وزادت نفسه الزكية تعلّقًا ورغبةً؛ فزاده الله من هذا الفضل عشر ليالٍ أخرى، فصارت مدة المناجاة الآن أربعين ليلة انقطع فيها للعبادة([17])، فحصل بذلك قوّة إيمان في قلب موسى -عليه السلام- وامتلأ قلبه فيها بمناجاة ربه، وحصل في نفسه بسبب ذكر الله وتسبيحه وتنزيهه ما حصل من الكمالات العظيمة، فكانت هذه الأيام من أعظم الأيام التي فيها مناجاة لرب العالمين، وكان لنا من هذا نصيب وهو أن يكون شهر ذي القعدة من الأشهر الحُرم التي نؤمر فيها بأن لا نظلم أنفسنا بترك طاعة الله وعبادته، وأن تكون العشر من ذي الحجة أيّامًا فاضلة لذكر الله وتعظيمه وتزكية النفس.

استفدنا الآن من قصة موسى -عليه السلام- أن هذه الأيام لها خصوصية وهي متصلة بموسى -عليه السلام- ولها خصوصية في ديننا، وهذا يدلنا على أن أديان الأنبياء كلهم من مشكاة واحدة.

---

[17]() المراد بالليالي الليالي بأيامها، لكن ذُكرت الليالي فقط لأن المواعدة كانت لأجل الانقطاع للعبادة، ولأجل أن تحصل المناجاة كاملة، والنفس في الليل تكون أكثر تجرّدًا منها في النهار، ففي النهار لا يفارق الإنسان الاشتغال بالدنيا ولو بملاحظة أمور تمر عليه وأشياء تكون حوله، لكن في الليل ومع الظلمة يبقى الإنسان مناجيًا رب العالمين قائمًا له، وهذا كما وصف -سبحانه وتعالى- بعض عباده فقال:
(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ) [سورة السجدة 16]، وقال:
(وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [سورة الذاريات 18]، والخبر العظيم في نزول ربنا إلى سماء الدنيا أمر معروف والحمد لله عند أهل السنة.

● نأتي الآن **للأمر الثاني** المتعلّق بوظيفتنا:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ): هذا التكليم مما خصَّ الله به موسى عليه السلام وإن كان رسولنا الكريم له نصيب من كلام رب العالمين في حادثة المعراج.

ننظر الآن إلى أين أوصل الشوق موسى -عليه السلام-:

(قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ): هذا الطلب يعني أنه قد وقع في قلبه -عليه السلام- من تعظيم الله ومن حبِّ الله ومن التعلق بالله ومن الرغبة في رضاه ما أثار شوقه إلى أن ينظر إلى رب العالمين، وانظروا كيف عامله رب العالمين الذي يعلم ما في قلوب عباده المؤمنين المتقين المشتاقين:

(قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي)[18]:

معنى **(لَن تَرَانِي)** أي: لن تطيق رؤيتي لأن نشْأتك الدنيوية لا طاقة لها برؤية رب العالمين ولو كنت في صلابة الجبل، انظر إلى الجبل الذي هو أقوى منك؛ فإن استقرَّ حين أتجلى له ولم يتزلزل فسوف تراني، وإلّا فلا طاقة لك بذلك، وهذا فيه من التلطّف بموسى والتكريم له ما الله به عليم، فقد بيّن له أن الجبل مع شدته وصلابته لم يستقر؛ فالآدميُّ مع ضعف بُنْيَته أوْلى ألّا يستقر، وقد قال بعض أهل

---

[18]() الأعراف: 143.

العلم: إن الذي انكشف من هذا الحجاب العظيم مقدار أنملة! فما كان من الجبل إلا أن تزلزل وتفتت ولم يستقر مكانه!

وفي هذا تسكين لفؤاد موسى -عليه السلام- إذ تبيّن له أن المانع من أن يرى رب العالمين هو الإشفاق عليه، وأنه في الدنيا لم يُخلق على خِلقة يستطيع أن يرى بها الله، فلتُسكِّن شوقك الآن وسيأتي اليوم الذي تراه فيه -سبحانه وتعالى-.

ونحن نعلم ونعتقد أن رب العالمين لا يُرى في الدنيا وإنما يُرى يوم القيامة مِن قِبَل أهل الإيمان -نسأل الله عزّ وجلّ من فضله- ونعتقد أنه سبحانه في الدنيا حجابه النور كما وصف رسولنا الكريم: **«إنَّ اللَّهَ لا ينامُ، ولا ينبغي لَه أن ينامَ يخفضُ القسطَ ويرفعُه، حجابُه النُّورُ ، لَو كشفَها لأحرقت سبحاتُ وجهِه كلَّ شيءٍ أدرَكَه بصرُه»**.[19].

وقد وعد سبحانه أهل الإيمان أن تكون وجوههم يومئذٍ ناضرة، إلى ربها ناظرة، وأن يُؤتَوا فوق الحسنة زيادة: **(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)**[20]، والزيادة كما فسّرها النبي صلّى الله عليه وسلّم: **النظرُ إلى وجههِ الكريمِ**[21].

(فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) أغشي عليه من هول ما رأى.

---

[19]() أخرجه مسلم (179).

[20]() يونس: 26.

[21]() تفسير الطبري (17618)،

(فَلَمَّا أَفَاقَ) نرى الآن كيف ذُكرت الوظيفة في ثلاث كلمات قالها موسى عليه السلام:

(قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ): يعني بدأ بالتسبيح لما تَبيّنت له عظمة رب العالمين، لمّا تبيّن له أنه لا أحد يماثله -سبحانه وتعالى- وأن الدنيا وما فيها ستُحرق إذا كشف الله الحجاب، لما تبيّن له هذا سبّح ربَّ العالمين ونزّهه.

وهذا الذي يجب أن يكون في نفوس المؤمنين: تعظيم رب العالمين، سبحانك أنزّهك تنزيهًا وتعظيمًا وإجلالًا، هذه العظمة لا يمكن أن تخطر على بال خلق، سبحانك لا أحد يشابهك، ولا أحد يماثلك، ولا المعاملة معك كالمعاملة مع الخلق، أنزّهك يا رب العالمين أن يكون مني تمثيل لك بغيرك، أو أن يمرَّ ببالي أي خاطرة لا تليق بجلالك.

ثم تأتي الكلمة الثانية العظيمة: **(تُبْتُ إِلَيْكَ)**: ولا بد أن تكون هي الكلمة الثانية بعد أن رأى بعينه أثر تجلّي الله -عزّ وجلّ- للجبل، رأى بعينه أن الأمر عظيم عظيم؛ فلا بد أن يكون الأثر الذي يحصل في النفس هو التوبة!

حين يشعر الإنسان بعظمة الله، ويشعر بكمال الله، ويشعر مَن هو في كون الله لا بدّ أن يتوب إلى الله، وأن يبذل جهده في طلب رضا الله، ولذلك قال:

(وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ): معناها في حق موسى -عليه السلام- أنه هو أول من آمن، وفي حق المؤمنين جميعًا إلى قيام الساعة يقولون: وأنا أول من أقبل على الصلاة، وأنا أول من سيفعل كذا وكذا، أي: لن أتأخر عن طاعتك يا رب العالمين، لن أتأخر عن أوامرك، أنا أول المؤمنين بالغيب وبكل ما أخبرت به عن نفسك، وأول المبادرين إلى طاعتك، فالذي يعرف الله ويعرف عظمة الله يكون من المبادرين لطاعة الله، يكون من المسلّمين لحكمة الله، فيسبّح الله وينزّهه عما لا يليق بجلاله، ويقع في قلبه التعظيم الكامل لله؛ فيتوب من جميع الذنوب، ومن سوء الأدب، ومن الكسل، ويقول: أنا أول المؤمنين بالغيب، و أول المبادرين إلى الطاعة المنكفّين عن المعصية، وهكذا تكون النفوس حين ترى آثار كمال الله.

تلَخَّصَ أن الشاهد لنا من هذا الحدث أمران:

- **الأول**: إن هذه الأيام المباركات كانت موسم طاعات خصّ الله بها موسى عليه السلام في ذاك الزمان، وواعده وأتمّ الموعد بالعشر، فعشر ذي الحجة هي الأيام التي تمّ لموسى -عليه السلام- فيها المناجاة، وفيها سأل اللهَ هذا السؤال.

-**الثاني**: إن هذه الأيام المباركات نتج عنها أمر يبيّن وظيفتنا، فحين صفّى موسى -عليه السلام- قلبه فيها، وبقي ذاكرًا لربه، وسائلًا له ومناجيًا له حصل له من قوّة الشوق إلى رب العالمين - وهذا هو المنتَظَر ممن يلزم الذكر، ويلزم مناجاة رب العالمين، ويصفّي قلبه

تصفية تامّة من المتعلّقات- ما جعله يطلب الرؤية؛ فحصل ما حصل للجبل، وخرّ موسى صعقًا؛ ثم لما أفاق قال قولًا أشار به إلى الوظيفة التي يجب علينا العناية بها، وهي: **(سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)**، ولتلاحظوا: **(سُبْحَانَكَ)** مع **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)**.

إذًا؛ وظيفتنا العظيمة هي التسبيح بحمد ربنا، تنزيهه عن النقص ووصفه بالكمال، ومن ثم تقديس النفس له، وهذا كلّه مبنيٌّ على معرفته سبحانه، فعلى هذه المعرفة تعتمد كل الطاعات والعبادات؛ ولذا لا نستغرب مما نجده من تكرار الأمرِ بالعلم عن الله في القرآن، وسنشير إلى بعض هذه المواطن في سورة البقرة فقط:

- قوله تعالى في سورة البقرة: **(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)**[22].

في هذه الآية مجموعة أوامر، ملخّصها أن تتّقوا الله، ولأجل أن تحصل لكم التقوى **(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)**.

أي: عندما تعلم معيّة الله ستكون التقوى يسيرة. لماذا؟ لأن الله سيعين عليها.

---

[22]() البقرة: 194.

- وقوله تعالى: **(وَأَتِمُّوا ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ)** ختمها -عزّ وجلّ- بقوله: **(وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)**[23].

معنى ذلك أن العلم بأن الله شديد العقاب سيكون أثره هو أن يستقيم الإنسان على طاعة الله، ويخاف من الله، ويرجو أن يقبل الله -عزّ وجلّ- طاعاته وأعماله.

- وقوله تعالى: **(وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓا أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ)**[24].

معنى ذلك أن من علم أنه محاسب على أعماله التزم العمل الصالح، واتقى ربّه، وأما من ظن أو شك في المصير المحتوم فيعمل تارة ويترك أخرى، فهذا أثر العلم عن ملاقاة الله.

- وقوله تعالى: **(فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ)**[25].

معنى ذلك أن من علم أن الله عزيز حكيم سيتّقي الزلل؛ لأن في هذا نهاية الوعيد، فهو يجمع من ضروب الخوف ما لا يجمعه الوعيد بذكر العقاب، وهو أيضا مشتمل على الوعد؛ لأنه سبحانه أتبع العزة بقوله: حَكِيمٌ، والحكيم يميّز بين المحسن والمسيء، فكما يحسن من الحكيم إيصال العذاب إلى المسيء فكذلك يحسن منه إيصال الثواب إلى المحسن.

---

[23]() البقرة: 196.
[24]() البقرة: 203.
[25]() البقرة: 209.

- وقوله تعالى: **(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)**[26].

يقول أحد المفسرين: " لو كانت قلوبنا حيّة لكان لهذه الكلمة وقْعٌ في نفوسنا؛ لأنها من كلام الله -عزّ وجلّ- مصدرة بـ **(اعلموا)**؛ لكن والله القلوب ميّتة والشكوى إلى الله -عزّ وجلّ- ولما جاء بهذه الجملة العظيمة المنذرة المخيفة قال: **(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** الحمد لله **(بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)**، هذه الملاقاة ملاقاة خير".

إذًا؛ اتّضح كيف يؤثر هذا العلم عن الله علينا ترغيبًا وترهيبًا.

- وقوله تعالى: **(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)** ختمت بقوله تعالى: **(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)**[27].

- وقوله تعالى: **(وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ)** انتهت بقوله تعالى: **(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)**[28].

نلاحظ فيهما اقتران التقوى التي هي الاسم العام للصالحين المؤمنين المصلحين بالعلم عن الله؛ اتقوا الله، ولكي تحصل منكم التقوى اعلموا أن الله بكل شيء عليم، بما تعملون بصير، فالاستقامة على دين الله والتجارة مع الله أصلها أن يحصل العلم عن الله.

---

[26]() البقرة: 223.
[27]() البقرة: 231.
[28]() البقرة: 233.

اعلموا هذا عن ربكم، أنتم هنا موجودون من أجل أن تعلموا عن ربكم، فإذا علمتم عن رب العالمين استطعتم أن تستقيموا على الطريق.

- وقوله تعالى: **(وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ)** خُتمت بقوله تعالى: **(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ)**[29].

وهنا أيضا يتّضح لنا أيضًا أثر العلم عن الله على قلوبنا وعلى استقامتنا؛ فقد ابْتُدِئَ الخِطابُ بِقوله: **(واعْلَمُوا)** وهو فعل أمر أتى به -سبحانه وتعالى- للأهمية والتحذير من المخالفة لَمّا أُرِيدَ قَطْعُ هَواجِسِ التَّساهُلِ والتَّأوُّلِ في هَذا الشَّأْنِ، لِيَأْتِيَ النّاسُ ما شَرَعَ اللَّهُ لَهم عَنْ صَفاءِ سَرِيرَةٍ مِن كُلِّ دَخْلٍ وحِيلَةٍ، كما يقول العلماء.

- وقوله لمّا أمرنا بالإنفاق: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ)** خُتمت الآية بقوله تعالى: **(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ)**[30].

فالعلم بأن اللَّهَ غَنِيٌّ وَاسِعُ الْعَطَاءِ، كَرِيمٌ جَوَادٌ سَيَجْزِيهِ بِهَا وَيُضَاعِفُهَا لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ سيحث العبد على هذا الإنفاق بلا شك.

---

[29] () البقرة: 235.
[30] () البقرة: 267.

بهذه الآيات العظيمة تبيّن شيء من أثر العلم عن الله، وتبين سبب متابعة أمر الله لنا بالعلم عنه المتكرّر في كتاب الله، فهذا العلم هو الذي سيسبّب للإنسان أن يستقيم ويصل إلى الرحمٰن -سبحانه وتعالى- وهذا الذي من أجله خلق الله الخلق، ففي مسألة الرضاع تعلم عن الله كذا فتستقيم، وفي مسألة الطلاق تعلم عن الله كذا فتستقيم، وفي مسألة الإنفاق تعلم عن الله كذا فتستقيم ...

يقول لنا سبحانه: اعلموا اعلموا؛ اعلموا أن الله غفور رحيم، اعلموا أن الله شديد العقاب، اعلموا أن الله غفور رحيم..؛ فهل قمنا بما طلب منا سبحانه؛ فاجتهدنا في العلم عنه ذاك العلم الذي يثمر أن نقوم بوظيفتنا كما ينبغي؟

الخلاصة: وظيفتنا العظيمة هي التسبيح بحمد ربنا، تنزيهه عن النقص ووصفه بالكمال، ومن ثم تقديس النفس له([31]).

والواجب لحصول هذا: العلم عن الله؛ لأن مبدأ وظيفتنا وأساسها العلم عن الله، فمَن سيسبّح الله كما ينبغي؟ مَن سيكبّر الله كما ينبغي؟ من سيعتقد أن الله أكبر من كلّ شيء فيغفل عن كلّ شيء ويتعلّق بربّ كلّ شيء؟

---

[31]) من معاني نقدّس لك: نطهّر أنفسنا بالتزكية، والتزكية في حقّ الملائكة هي الزيادة من الطاعات، وفي حقّ الناس: الطهارة من الذنوب بالتوبة، والاستقامة على أمر الله، والمسارعة إلى الطاعة، خصوصًا في مثل هذا الموسم الكريم الذي نعلم أنه فرصتنا للتجارة مع رب العالمين، فنقوم فيه بوظيفتنا العظيمة التي هي التسبيح بحمد الله وتقديس النفس له.

الذي يعرف من هو الله هو الذي سيكبّر الله ويسبّح الله ويحمد الله كما ينبغي، وهذه العشر أتت لأجل أن يأخذ القلب فرصته فيمتلئ بسؤال الله ورجاء الله والثقة بالله والاعتماد على الله، ثم ينطلق اللسان بقول: (الله أكبر)!

الله أكبر من كل شيء
أكبر مما أخاف وأحذر
أكبر من هذه الرغبات التي في الدنيا، أكبر من كل ما أشتهي
الله أكبر حتى من طاعاتي وعباداتي
بل نرجو منه أن يقبل منا ونسأله أن يتقبلنا.

لذا كان الواجب أن يكون إقبالنا على هذه العشر إقبال من يعرف الله، إقبال من يسأل الله ولا يسأل غيره، إقبال من جعل غاية أمانيه أن تصفو وتصلح علاقته مع الله؛ فيكون مع الله في حياته، يذكره في السرّاء والضرّاء، يذكره وقلبه مليء بالرجاء، يذكره وقلبه مليء بالخشية والرغبة والرهبة، فهذا ذِكر العابدين.

نسأل الله أن يرزقنا ذكرًا مليئًا بالصدق؛ فنكون ممن ذكر بقلبه ولسانه، ممن عرف رب العالمين وعرف أنه لا أحد يستحقُّ أن يُشكر أو يُسأل أو يُرجى إلّا هو سبحانه وتعالى.

نسأل الله أن يوفّقنا لهذه الحال، ونعوذ برب العالمين من أن نظلم أنفسنا بالمعاصي ونضيّع هذه الأيام العظيمة، ونرجو من رب العالمين أن يجمع علينا قلوبنا ويزيدنا إيمانًا. اللهم آمين.

إن شاء الله نبدأ غدًا بعد هذه المقدمة بمعرفة أن هذه العشر إنما هي للقيام بهذه الوظيفة، إنما هي لملء الفؤاد بمناجاة الرّب سبحانه، وبتسبيحه وتنزيهه وتبجيله.

نبدأ إن شاء الله غدًا بالكلام التفصيلي عن الأعمال والأذكار التي تُغتنم هذه العشر فيها وتكون إن شاء الله تجارة رابحة مع رب العالمين.

اللقاء الثالث

٢٧ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن اغتنم هذه الأيام الفاضلات المقبلات في زيادة الايمان، اغتنمها بالتفكّر في آيات الرحمن، اغتنمها في ذكر الرحمن، فإنّ من أعظم دلائل محبّة الله وقوّة الإيمان كثرة الذكر، وهذا ما يميّز هذه العشر التي تُمثّل كما ذكرنا وظيفة الإنسان، فوظيفة الإنسان هي معرفة الله -عزَّ وجلَّ- ومِن ثَمَّ التعلُّق به واللجوء إليه وسؤاله ورجاؤه، بمعنى توحيد النظر القلبيِّ إلى ربِّ العالمين، وشغل العين والأذن وجميع الأدوات التي وهبها الله -عزّ وجلّ- للعبد بما يزيد الإيمان، هذه وظيفة أهل الإيمان، فإنّ أهل الإيمان مِن وصفهم أنهم يذكرون، ويتفكّرون، قال تعالى فيهم:

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[32].

ما خلقت هذا باطلًا؛ وإنما خلقته ليدلَّنا على الحقِّ، فهذه الآية بيّنت لنا أنّ وظيفة المؤمن أن يملأ قلبه بالإيمان من خلال ما جعل الله له مِن طُرق، وأعظم الطرق هي طريقة التفكُّر في آيات الله، والتفكُّر

---

[32]() آل عمران: 191.

فيما يمرُّ على العبد من أحداث وأقدار، فالتفكُّر عبادة عظيمة تملأ القلب بالإيمان، وإذا وقع من الإنسان هذا التفكُّر في الآيات الكونيّة، وفي الآيات القرآنيّة، وفي التاريخ البعيد والقريب، وفي الأحداث التي تمرُّ عليه؛ فيُتوقّع أن يكون من أولي الألباب، وإذا كان من أولي الألباب؛ فسيكون ممّن يذكر الله قيامًا وقعودًا وعلى جنبه، فيكون شاهد إيمانه كثرة ذكر الله.

وهذا الذي يُنتظر في عشر ذي الحجّة، كما قال النبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم-:

»ما من أيّامٍ العَمَلُ الصّالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ مِن هذه الأيّامِ -يعني: أيّامَ العَشرِ- قالوا: يا رسول اللهِ، ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلّا رجُل خرج بنفسه وماله، فلم يرجِعْ من ذلك بشيءٍ«[33].

هذه الأيّام أحبُّ الأيّام إلى الله، والله يحبُّ أن تغتنمها بالأعمال الصالحة، وأحبُّ الأعمال الصالحة هي الذكر، فهذا نوع من الأنواع الدالّة على امتلاء القلب بالإيمان، وبقيّة الأعمال ستشترك مع هذا العمل في الدلالة على الإيمان.

إذًا؛ هنا أمر غاية في الأهميّة يجب أن نؤكّد عليه: إذا امتلأ القلب إيمانًا بسبب التفكّر في الآيات الكونيّة، والتفكّر في الآيات الشرعيّة

---

[33]() أخرجه البخاري (969).

فلا بدّ أن يكون أثر ذلك هو العمل: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، فلا ينفكُّ الإيمان عن العمل الصالح.

لا يغرنَّكم الشيطان بإرجاء الأعمال عن الإيمان؛ فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصيّة؛ ولذا تفكّروا في وصف أهل النفاق - نعوذ بالله من وصفهم وحالهم- حين أخبرنا رب العالمين عن بعض أحوالهم فقال:

(هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)[34].

لماذا أتينا على ذكر المنافقين؟

لأنّه يوجد إيمان، ويوجد كُفر، وهناك مساحة بين الإيمان والكفر؛ فحين يضعف الإيمان بضعف الأعمال، بضعف عبادة التفكّر وعبادة التدبّر، وعبادة الذكر، وعبادة الصلاة، وعبادة الصيام؛ يدخل الإنسان في هذه المساحة التي هي بين الكفر والإيمان، فيكون من هؤلاء الذين **(هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ)**، يعني هؤلاء في المساحة الوسط، فيمكن أن تحصل أعمال تقرّبهم من الكفر وتبعدهم عن الإيمان.

لاحظوا: **(يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)** ومعنى ذلك أنّ علينا أنْ نحذر مِن أن نكون في صفّهم أو نقترب من أوصافهم.

---

[34] () آل عمران: 167.

وهذا الحذر يكون بماذا؟

يكون بالحرص على زيادة الإيمان في القلب، وعلى زيادة الأعمال القلبيّة والبدنيّة الجارحيّة، فلا تستهن بذلك، فزيادة الأعمال البدنيّة والقلبيّة واللسانيّة هي زيادة للإيمان، وهكذا حتى يرتفع الإنسان.

ونعود مرة أخرى ونؤكّد أنّ الله تعالى قال في سورة البقرة مخبرًا عن المتّقين:

(الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) مباشرة قال: **(وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)**[35].

أي أنّ هذا الإيمان الذي في القلب لا بدّ له من ترجمة عمليّة، وهي قوله تعالى: **(وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)** يعرفون أنّ ربّهم هو الذي رزقهم وهذه عقيدة في قلوبهم؛ فينفقون عملًا.

المتّقون هؤلاء معروفون مميّزون، فهم الذين يؤمنون بالغيب، تعرفهم بهذه الصفة، يوافقون فطرتهم بالإيمان بالغيب، ويعملون.

من سيقابل هؤلاء المتقين المتيقنين؟

يقابلهم الكافرون: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)**[36] فالكافرون أيضًا معروفون مميّزون، فهم الذين كفروا.

---

[35]() البقرة: 1-3.
[36]() البقرة: 6.

وبينهما أناس غير متميّزين؛ بل هم داخل صفِّ المؤمنين الكُمَّل، فهؤلاء يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم: **(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ)** كلام يقولونه بلسانهم، لكنّ ربّنا يقول: **(وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ)**[37].

فالكلام هذا خديعة يدلُّ على أنَّ في القلب مرضًا؛ لأنّه لا يمكن لأحد يعرف الله أن يترك العمل لله، لا يمكن لأحد عظّم الله حق التعظيم أن يجد فؤاده فارغًا من الرغبة في العمل لأجل رضا الله، لا يمكن، هذا كذب، هذا الذي بيّنه الله عن المنافقين حين أخبر أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فهم الآن يبتعدون عن الإيمان ويقتربون من الكفر، ولهم صفاتهم التي من أهمِّها:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ) الكاملون في الإنسانية، فإنّ المؤمنين هم الناس في الحقيقة؛ لأنهم جمعوا خواصَّ الناس وفضائلهم، هم الناس المعنيّون في جواب ربّ العالمين للملائكة حين قالت لربها: **(أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ)** فأجابهم: **(قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)**[38]؛ فهؤلاء الناس الذين يعلم الله -عزّ وجلّ- صدقهم.

---

[37] () البقرة: 8.
[38] () البقرة: 30.

(قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ)[39]: معناها أن هؤلاء لما ضعف الإيمان في قلوبهم كانت النتيجة أن انتقدوا الإيمان، وأفعال الإيمان، وأهل الإيمان، ولذا أتت الآية بعدها:

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ).

فالآن نؤكّد أننا في تجارة مع الله، والذي يتاجر مع ربّ العالمين يملأ قلبه بالإيمان، يتفكّر في خلق السماوات والأرض، ويتفكّر في الأحداث التي تحصل حوله، ويتفكّر في آثار صفات الله -عزّ وجلّ- في كلّ شيء، ويتدبّر في القرآن ويتعرّف على الرحمن، وهذا كلّه لا بدّ أن يأتي بعمل: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)**، نزكّي أنفسنا لك، نزكّيها بماذا؟

نزكّيها بالأعمال الصالحة، فلا يظنَّ ظانٌّ أنَّ العمل الصالح هو شيء زائد وليس لازمًا، نافلة وليس فرضًا، صحيح أنّ الأعمال الصالحة تتفاوت بين أن تكون فريضة وأن تكون نافلة؛ لكنّ العمل الصالح نفسه ليس نافلة؛ وإنما يجب عليك أن تعمل صالحًا إذا كنت حقًّا ستقوم بوظيفتك في الحياة؛ لأنه لا يمكن لأحد عظّم الله حق التعظيم أن يجد فؤاده فارغًا من الرغبة في العمل لأجل رضا الله، هذا كذب، كما مرَّ سابقًا.

---

[39]() البقرة: 13.

إذًا؛ معنى هذا أنّ هذه الأيّام فرصة لنا ليظهر إيماننا، وفرصة ليزيد إيماننا، فرصة للقيام بوظيفتنا في الحياة، فرصة لنسبّح بحمد الله ونقدّس له أنفسنا ونزكّيها بالتفكّر والتدبّر؛ فيمتلئ القلب إيمانًا من جهة، ومن جهة أخرى ينتج هذا الإيمان عملًا صالحًا، وربّ العالمين رغّبنا في هذه العمليّة المنتجة للسعادة والهناء وانشراح الصدر، رغّبنا فيها بأن جعل لنا مواسم للربح العظيم، وأدخل -سبحانه وتعالى- الناس كلّهم في هذا الرّبح. كيف؟

كما قال ابن رجب رحمه الله:

" لمّا كان الله -سبحانه وتعالى- قد وضع في نفوس المؤمنين حنينًا إلى مشاهدة بيته الحرام؛ وليس كلٌّ أحد قادرًا على مشاهدته في كلّ عام؛ فرَض على المستطيع الحجَّ مرّة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين في الحجِّ والقائمين، فمن عجَز عن الحجِّ في عامٍ قدَر في العشر على عمل يعمله في بيته يكون أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحجِّ".

انظروا إلى هذا الأمر العجيب: الجهاد أفضل من الحجّ، وفي العشر يمكن للمؤمن أن يعمل أعمالًا أفضل من الجهاد، وإذا كانت أفضل من الجهاد ستكون أفضل من الحجّ!

ما أرحم ربَّ العالمين بالمؤمنين! ما أرحم ربَّ العالمين بالراغبين المقبلين، بالمجتهدين الطالبين لرضاه، ما أرحمه!

ولذا سنجد أنّ هناك أمورًا مشتركة كما هو معلوم بين الحاجِّ وغير الحاجِّ:

- فالمسلم إذا أراد أن يضحّي ودخل شهر ذي الحجّة فإنه يحرم عليه أن يأخذ شيئًا من شعره أو أظفاره حتى يذبح أضحيته.

وقد ورد الحديث عند أحمد في المسند وعند مسلم في صحيحه: **«مَن كانَ له ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فإذا أُهِلَّ هِلالُ ذِي الحِجَّةِ، فلا يَأْخُذَنَّ مِن شَعْرِهِ، ولا مِن أظْفارِهِ شيئًا حتَّى يُضَحِّيَ»**[40]، هذا في بيته؛ لكن يعمل أعمالًا تشبه أعمال الحاجِّ الذي خرج لحجّه.

- ننظر أيضًا إلى الذِّكر، أهل الحجّ يُحيون هذه الأيام الفاضلات التي يخرجون فيها للحجّ بالتلبية، فهي من أعظم ما يقولونه ويفعلونه، وهي عقيدة وعمل، وأمام هذه التلبية التي هي عقيدة وعمل يأتي التكبير، التلبية ثم التكبير، ثم الذكر عمومًا من أهم شعائر الحاجّ، وقد شارك في ذلك غير الحاجّ، فإحياء شعيرة التكبير والذكر عمومًا في البيوت والأسواق والأوقات كلّها تجعل غير الحاجّ مشتركًا مع الحاجّ في هذا الفضل العظيم.

وهنا يتبيّن لنا فضل الله علينا؛ فلأجل أن يزداد الإيمان نزداد من الأعمال الصالحة، فهذا هو السبب الحقيقي لزيادة الإيمان، فلتكن هذه الرغبة في قلوبنا؛ أن نعمل أعمالًا صالحة نتقرّب بها إلى الله، وتزيد فيها حسناتنا، ويزيد فيها إيماننا، وتكون هذه الأعمال الصالحة فيها

---

[40]() أخرجه مسلم (1977).

مواطأة بين القلب واللسان، فهذه الأيّام فُرصة عظيمة لا بدّ فيها من الاغتنام، لكنّ الاغتنام ينبغي أن لا يقتصر على الكثرة؛ بل يكون أيضًا في الأحسن: **(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)**[41]، والأحسن هو الأتقن، والأتقن لا بدّ أن يكون فيه مواطأة بقدر المستطاع بين القلب واللسان، والقلب والجوارح؛ في صلاتنا، في ذِكرنا، في صيامنا ...

باب الأعمال الصالحة مفتوح على مصراعيه، فليكن لك نصيب من كل الأعمال الصالحة؛ لكن بشرط أن تبذل جهدك في الإتقان.

هذه الأيام فرصة عظيمة، مغتنمها قد عرف وظيفته في الحياة؛ ولذلك قدّر قول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **«ما من أيامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ** - وفي رواية: **أعظم**، وفي رواية: **أفضل- إلى اللهِ من هذه الأيامِ العَشْرِ»** حقَّ قدره؛ فبادر واغتنمها.

وليُعلم بأنّ أهل العلم يقارنون بين هذه الأيّام وبين العشر الأخيرة من رمضان، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن عشر ذي الحجّة والعشر الأواخر من رمضان؛ أيّهم أفضل؟ فأجاب: إنّ أيّام عشر ذي الحجّة أفضل من أيّام العشر من رمضان، وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجّة.

---

[41]() الملك: 2.

وهذا جواب قد انتشر بين الخلق ومعناه حق، لكن لا يفهم منه التقليل من قيمة الليالي، وإنما الليالي تتبع الأيام، فإذا كانت الأيام فاضلة فالليالي فاضلة.

وممّا يؤكّد أن ليالي عشر ذي الحجّة عظيمة كنهارها: الأقسام التي في سورة الفجر: **(وَٱلۡفَجۡرِ (1) وَلَيَالٍ عَشۡرٖ)**[42] فهناك قول قويٌّ جدًّا لأهل العلم بأنّ **(وَٱلۡفَجۡرِ)** قَسَمٌ خاصٌّ بيوم النحر، يعني يوم العيد، **(وَلَيَالٍ عَشۡرٖ)** أي عشر ذي الحجّة، ومن ثَمَّ تكون ليالي العشر أيضًا لها عظمتها، فيكون نهار العشر عظيمًا عند ربِّ العالمين إشارة إلى الفجر الذي أقسم الله به، ولياليه أيضًا عظيمة إشارة إلى الليالي التي أقسم بها تعالى، فالنهار والليل في عشر ذي الحجّة أعظم أيام العام، والدليل هو الحديث العام: **«ما من أيّامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ العَشْرِ»**، فهذا الدليل العام يدلُّ على أنّ ليلها ونهارها أعظم ما يكون.

وبعض أهل العلم قالوا: **(وَلَيَالٍ عَشۡرٖ)** يدخل فيها عشر ذي الحجّة، وعشر من المحرّم، والعشر الأواخر من رمضان، وقد مرّ معنا أن بعض أهل العلم قالوا إنّ هذه الليالي العشر هي العشر التي ذكرها الله في قصة موسى -عليه السلام- **(وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ)**[43]، ولذلك كانت هذه الأيّام غاية في العظمة.

---

[42] () الفجر: 1-2.
[43] () الأعراف: 142.

لماذا هذه العشر حين تقارَن بغيرها من أيّام العام تكون أعظم الأيّام؟

سنعود إلى مسألة العمل الصالح والفرصة الاستثمارية والتجارة الرابحة مع رب العالمين، وترغيب رب العالمين للخلق ليزدادوا إيمانًا؛ ولذلك ابن حجر رحمه الله يقول:

"والذي يظهر أنّ السبب في امتياز عشر ذي الحجّة لمكان اجتماع أمّهات العبادة فيها، وهي: الصلاة والصيام والصدقة والحجّ، ولا يتأتّى ذلك في غيره".

يعني في غير عشر ذي الحجّة لا تجتمع هذه الأعمال، فالحجّ للحجاج، والصيام لغير الحاجّ، ومنها صيام يوم عرفة الذي في الحديث: **«صِيامُ يومِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ على اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ، والسنَةَ التي بَعدَهُ»**[44]. وهذا الحديث رواه مسلم، وعلّق عليه النوويُّ رحمه الله بقوله: "معناه يكفّر ذنوب صائمه في السنتين".

وهذا يشبه أعمالًا كثيرة تُكفَّر فيها الصغائر، قال النووي: "وهذا يشبه تكفير الخطايا بالوضوء، فإن لم تكن هناك صغائر -نتيجة أنه مثلًا من عمرة لعمرة ومن جمعة لجمعة تُكفَّر خطاياه- يُرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن؛ رُفعت درجاته".

يعني يكون هذا الصيام سببًا لرفعة الدرجة إن لم يكن له صغائر وكبائر، لكن مَن هذا الذي تكون صفحته بيضاء من الصغائر، ومَن

---

[44]() أخرجه مسلم (1162).

هذا الذي يخلو من الذنوب؟! لذلك كان من الضروري أن تكون عبادة التوبة والاستغفار من أعظم ما يكون على اللسان، فإنّ العبد لا يخلو من ذنب وتقصير، والحياة فيها من الأمور والأخطاء التي يمكن للعبد أن يقع فيها وهو لا يشعر ما فيها، فإذا كانت الحياة بهذه الصورة فليكن منا جُهد عظيم واستفادة قصوى من مواسم الطاعة.

بماذا؟

بالتوبة والاستغفار، فمثل هذه المواسم التي منّ الله بها علينا تحتاج منا إلى تطهير النفس من الذنوب والمعاصي بالتوبة والاستغفار، وتذكير النفس بما عند الله من أجور، وبما عند الله من نعيم، وبما عند الله من ثواب؛ ليحصل في القلب الإقبال، والعزم الصادق، وطلب العون من رب العالمين.

هذه المواسم تحتاج أن ندخلها ونحن تائبون، ونكرّر فيها التوبة والاستغفار متأمّلين من ربّ العالمين أن يتقبل منا هذه الأعمال، بمعنى أن التوبة والاستغفار كالحامل لهذه الأعمال والرافع لها.

معنى هذا أن المؤمن يدخل العشر وهو:

- معتنٍ بها.
- ومعظِّم لها.
- ومشتاق لها.
- ويشعر أنها نعمة من رب العالمين.
- ويطهّر نفسه لها بالتوبة.

- ويدفع نفسه لهذه الأعمال.
- ويرغّب نفسه فيها بتذكير نفسه بشرف الزمان.

فيقول لنفسه مثلًا: هذا زمان شريف عند رب العالمين، لا بدّ أن أشمِّر لأستفيد منه، ولا بدّ أن أطهّر نفسي لأنتفع منه، أنا سأعيش الحياة؛ لكن سأعيشها ذاكرًا لرب العالمين.

وهنا تحتاج شيئًا من التفرُّغ لهذه العشر؛ كي لا يشغل لسانك ولا قلبك شيء عن ذكر الله الذي هو ناتج التفكّر والتدبّر، فاجتهد أن تفرّغ نفسك من الشواغل والالتزامات، وهذا يكون على قدر الاستطاعة؛ لأن هناك حقوقًا للعباد لا يمكن تأجيلها، فنحتسب على الله فيها، ونطلب من الله -عزّ وجلّ- وقت أدائها أن يجعلها لنا، ونُظهر لربنا فرحنا بهذه النعمة وحرصنا على استغلال العشر في فِعل الخير والعمل الصالح، خصوصًا الأمّهات والمربّين والمربّيات ومن له تأثير في أسرته وفي مجتمعه، لا بدّ أن يظهر منهم الحرص على هذه العشر ليحصل الاقتداء بهم.

هذه الأيام أيّام إظهار عظمة رب العالمين؛ ولذلك هذه العشر فيها عبادات قوليّة عظيمة مختصّة بهذه العشر، فلسانك من أعظم ما يعبّر عما في وجدانك؛ ولذلك انظروا إلى قوله تعالى: **(وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ)**[45]، وفي سورة الحج: **(وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ)**[46].

---

[45] () البقرة: 203.
[46] () الحج: 28.

فالمعدودات هي أيّام التشريق، والمعلومات هي أيام العشر من ذي الحجّة.

فتصوَّر: غاية الغايات أن يغلب ذكرُ الله ذكرَ أيِّ شيء آخر في حياتك، هناك أعمال أخرى بدنيّة مثل ذبح الأضحية والحجّ لمن تيسّر له الحج؛ لكن أعظم الأعمال تظهر في العبادات القوليّة، وقد عرّفنا نبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم- الفاضل من المفضول في هذه الأيام لنغتنمها كما ينبغي، قال -صلّى الله عليه وسلّم-: **«ما من أيّامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ العَشْرِ، فأكثروا فيهنَّ من التكبير والتهليل والتحميد»**[47]، فالذكر من أعظم الأعمال في هذه الأيام لقول نبينا -صلّى الله عليه وسلّم-: **«فأكثروا فيهنّ من التكبير والتهليل والتحميد»**، وكذلك أيام التشريق، التي قال فيها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **«أيَّامُ التَّشريقِ أيَّامُ أَكْلٍ وشُربٍ وذِكْرٍ للَّهِ عزَّ وجلَّ»**[48]، فهذا أيضًا يدلُّنا على أن الذكر فيها هو أفضل العبادات التي يُتقرب بها إلى الله.

إذًا؛ خرجنا بنتيجة مهمة هي أن العبادات القولية هي من أعظم ما تغتنم به هذه الأيام، ولنذكر بعض هذه العبادات القولية:

من العبادات القولية:

---

[47]() أخرجه أحمد (5446).

[48]() أخرجه مسلم (1141).

- قراءة القرآن، فلنكثر من تلاوة القرآن بحيث يحصل تمييز لهذه الأيّام عن غيرها بالقرآن، فتلاوة القرآن مِن ذكر الله.

- الباقيات الصالحات، كما قال عزَّ وجلَّ: **(وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابا وَخَيۡرٌ أَمَلا)**[49] ، وفي سورة مريم **(وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابا وَخَيۡر مَّرَدًّا)**[50].

فالباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) خير للمرء في الثواب وفي الأمل، يعني إذا رجا شيئًا وتأمّله؛ فإنه يُعطى خيرًا ممّا تأمَّل، والخيريّة هنا في الباقيات الصالحات خيريّة في الدنيا والآخرة، فالباقيات الصالحات تبقى.

- ثُمَّ ذكر الله عمومًا، كالتسبيح (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) فهذه ثقيلة في الميزان، والحوقلة، والاستغفار.

- ثُمَّ أعظم ما خُصَّ في هذه الأيام، وهو التهليل والتحميد والتكبير، وخصوصًا التكبير؛ لأجل ما في التكبير من إظهار عقيدة العبد.

عقيدته في ماذا؟ عقيدته في الدنيا، في ملاذِّها، وفي محابِّها، وفي مخاوفها، وفي رغباتها، فالله أكبر من كل هذا، فبهذا يحصل للإنسان من الطمأنينة، ومن دفع وساوس الشيطان، ومن دفع المخاوف، ومن الشجاعة وقرّة العين ما يحصل، نتيجة تكبير رب العالمين وتعظيمه

---

[49] () الكهف: 46.
[50] () مريم: 76.

-سبحانه وتعالى-، فتكبير رب العالمين على كل شيء، وجعْل كل شيء صغيرًا أمام عظمته أمر عظيم !

وعلى ذلك أصبح الذكر كما يلي: قراءة القرآن والذكر عمومًا، وأخصُّ منه الباقيات الصالحات، وأخصُّ منها التكبير والتهليل والتحميد، وأخصُّ الخاصّ التكبير.

وقد ذكر أهل العلم أن التكبير المشروع في هذه الأيام أنواع متعدّدة، ومؤكَّد أن تعدد الأنواع والصفات والأحوال دليل على أن هذه العبادة مهمّة في هذه الأيّام.

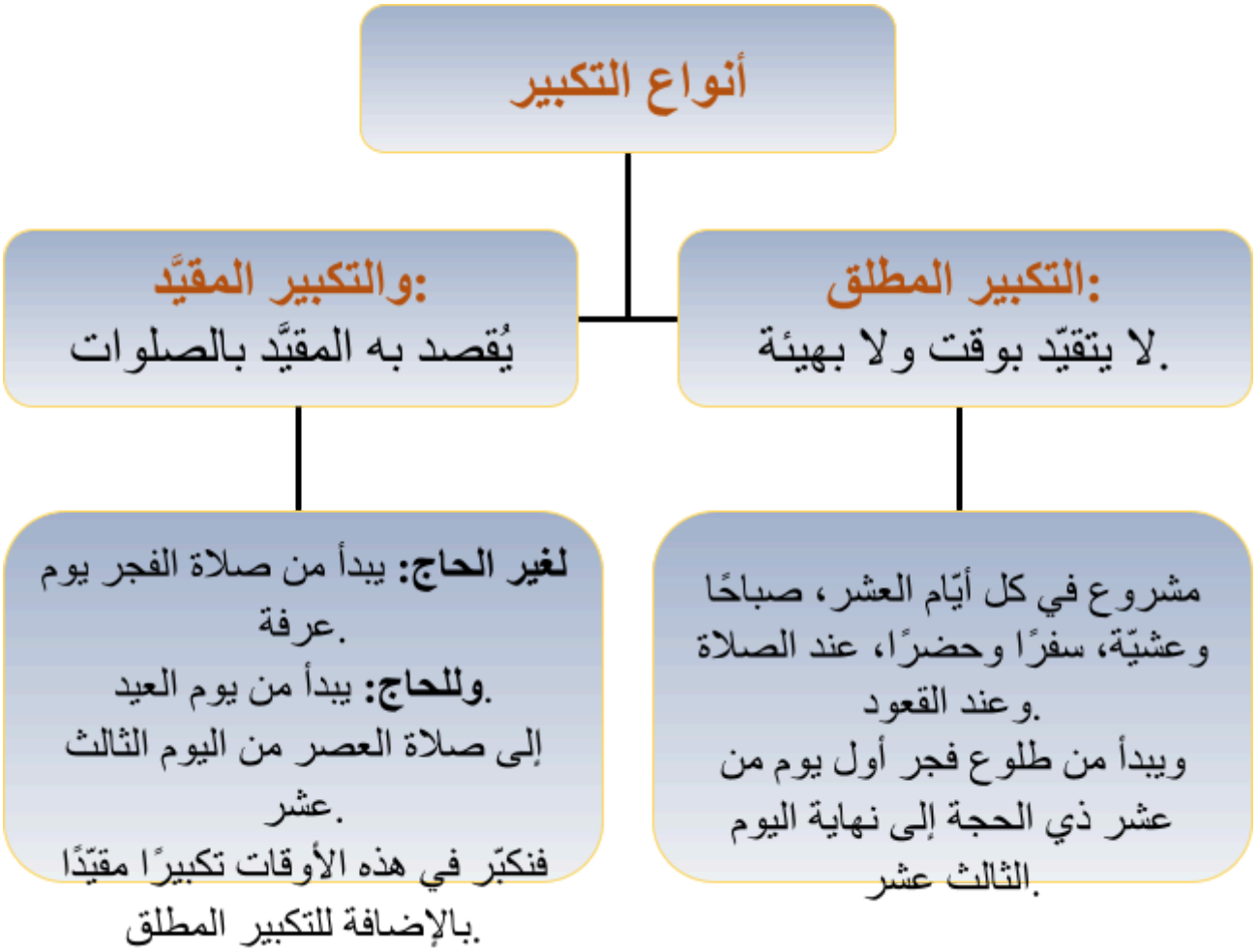

تبيّن لنا أنّ كثرة الذكر هو دليل الإيمان الذي يبعدنا تمامًا عن النفاق، فالصادقون البعيدون عن المراءاة، المعظِّمون لربّ العالمين علامة إيمانهم هي الذكر كما مر معنا في المقدمة، فإذا أكثرت من ذكر الله صادقًا مخلصًا في سرِّك وعلانيتك، وفي سرّائك وضرّائك؛ فإنّ هذا سيكون علامة على إيمانك.

لمَ؟ لأن الله أخبرنا أنّ المنافقين وصفهم أنّهم لا يذكرون الله إلا قليلًا:

(إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)[51].

أهل النفاق لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرًا قليلًا، وهذا القليل يكون لأسباب، كالرياء والسمعة وملاحظة الناس فقط!

ماذا يفعلون في مقابل ذلك؟ يستغرقون أوقاتهم بالحديث عن الدنيا، وهذا من علامات النفاق.

إذا فهمنا هذا عرفنا علاقة الذكر بالإيمان، وعلاقة الذكر بالنفاق، فالذكر علامة الإيمان؛ لأن المنافق وقته مستغرق في الكلام عن الدنيا، والمؤمن في هذه العشر خاصّة يجعل وقته مستغرقًا في ذكر رب العالمين، ثم إذا أدام الذكر وحبس اللسان عن غير ذلك فسيخرج من هذه العشر وما بعدها من أيام التشريق وقد اعتاد لسانه مع

---

[51]() النساء: 142.

وجدانه على هذا الذكر، ومن جرّب بإخلاص عرف، ومن جرّب بيقين وباستعانة سيجد هذه الآثار بإذن الله.

إن شاء الله غدًا في لقائنا الأخير نُذكّر بصيغ التكبير التي جاءت في حديث جابر -رضي الله عنه- وفي أحاديث بقيّة الصحابة الكرام، ونذكّر بالاهتمام بالفرائض والأعمال المتعدّية، وباغتنام هذه الأيام بالصيام.

أسأل الله -عزّ وجلّ- أن ينفعنا بما سمعنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الرابع

٢٨ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اليوم بإذن الله نختم هذه اللقاءات التي كان حديثنا فيها عن فضل عشر ذي الحجة، ونحن اليوم في هذا الشهر العظيم، شهر ذي القعدة الذي هو من الأشهر الحُرُم، من عام ١٤٤٢ من الهجرة النبوية الشريفة.

نختم الكلام بذكر الأعمال التي يُرغَّب فيها في هذا الموسم العظيم، ونذكّر أنفسنا بحديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

«اطلُبُوا الخيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رحمةِ اللهِ ، فإِنَّ للهِ نفحاتٍ مِنْ رحمتِهِ، يُصيبُ بِها مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ، وسلُوا اللهَ تَعَالَى أنْ يستُرَ عوْراتِكم، و أنْ يُؤَمِّنَ رَوْعاتِكم» [52].

اللهم استر عوراتنا وأمّن روعاتنا.

وقد روى الطبراني أيضًا قول النبي صلّى الله عليه وسلّم:

«إنَّ لِربِّكم في أيَّامِ الدَّهرِ نَفحاتٍ، فتعرَّضوا لها؛ لعَلَّ أحَدَكم أنْ تُصيبَه نَفحةٌ فلا يشقى بعدَها أبدًا» [53].

لذا كان من الواجب على كل عاقل أن يكون ناصحًا لنفسه، ناصحًا لأهل بيته، ناصحًا لأقربائه بأن يغتنموا هذه العشر.

---

[52] () أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1083).
[53] () أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (2856).

وقد تبيّن لنا من فضلها ما ورد في كتاب الله، وأيضًا ما بيّنته السُّنة، فالنصوص بيّنت شرف هذه الأيام ومنزلتها.

وقد مرّ معنا ما ملخّصه في فضائل هذه الأيام وعظيم شأنها ما يلي:

- **أن الله أقسم بها سبحانه**، ولا يقسم -عزّ وجلّ- إلا بعظيم، وهذا في قوله تعالى: **(وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)**[54].

وقد ذكر أهل العلم أن **(وَلَيَالٍ عَشْرٍ)** هي العشر الأولى من ذي الحجة.

وأيضًا ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشفع هو يوم النحر، والوتر هو يوم عرفة، وأن الفجر هو فجر يوم العيد.

- **أنها أفضل أيام السنة**، وأنها الأيام التي أتمّها الله -عزّ وجلّ- لموسى -عليه السلام- في مواعدته: **(وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**.

ذكر الطبري في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى: **(وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً)** هي: ذو القعدة، وقوله: **(وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ)** هي: عشر ذي الحجة، فذلك قوله عز وجل: **(فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**.

---

[54]() الفجر: 1-3.

- **وأن في هذه العشر يوم عرفة** الذي أقسم الله به في كتابه أيضًا -على قول من أقوال المفسرين- في سورة البروج: **(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)**، ذكر المفسرون أن اليوم الموعود هو يوم القيامة، والشاهد هو يوم الجمعة، والمشهود هو يوم عرفة.

- **وفيها أَخَذَ الله الميثاق من ظهر آدم**، كما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: **«أخذَ اللهُ الميثاقَ مِنْ ظهرِ آدمَ بنعمانَ، يَعني: عرفةَ، فأخرجَ مِنْ صُلبِهِ كلَّ ذريةٍ ذرأَها، فنثرَهُمْ بينَ يديْهِ كالذرِّ ثمَّ كلَّمَهُمْ قُبُلًا، (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)»**[55].

- **وفيها أكمل الله الدين ورضيه لنا**، فآية المائدة: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)**[56] كما هو معلوم نزلت والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- واقف بعرفة، كما ورد أن اليهود قالوا لعمر -رضي الله عنه-: إنكم تقرؤون آية لو أُنزلت فينا لاتّخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال: "إني لأعلم أي يوم أُنزلت، وأين كان رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حين أُنزلت، أُنزلت يوم عرفة ورسول الله واقف بعرفة"[57].

---

[55]() أخرجه أحمد (2455).
[56]() المائدة: 3.
[57]() أخرجه البخاري (45).

فإلى الآن هذه الأيام هي التي:

- أقسم الله بها في سورة الفجر.
- أتمها الله -عزّ وجلّ- لموسى عليه السلام.
- أقسم بها في سورة البروج.
- أخَذَ الله فيها الميثاق في يوم عرفة.
- أكمل الله تعالى لنبيه -صلّى الله عليه وسلّم- وأمّته الدين ورضيه لهم في يوم عرفة.

ومن فضائل يوم عرفة:

- **أنه أكثر يوم يعتق الله فيه المسلمين من النار**، كما أخرج مسلم في صحيحه، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: **«ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بهِمُ المَلَائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»**[58].

- **وفيه يغفر الله الذنوب والخطايا**، كما ورد عند عبد الرزاق في مصنّفه: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **«ما يوم إبليس فيه أدحر، ولا أدحق، ولا هو أغيظ من يوم عرفة، مما يرى من تنزّل الرحمة، وتجاوز الله تعالى عن الأمور العظام، إلا ما رأى يوم بدر، قيل: وما رأى يوم بدر ؟ قال: إنه قد رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة»**[59].

---

[58]() أخرجه مسلم (1348).

[59]() أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (4/ 378).

يعني كان يوم بدر مقهورًا غاية القهر لأن الملائكة كانت تقاتل مع المسلمين، فكان من أغيظ الأيام عليه، لكنّ اليوم المتكرّر الذي يكون مغتاظًا فيه هو يوم عرفة.

- **فيه التكفير عن سنتين لمن صامه**، كما قال صلّى الله عليه وسلّم: **«صِيامُ يومِ عَرَفَةَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ، والسنَةَ التي بَعدَهُ»**[60].

- **أيضًا في هذه الأيام العشر أعظم الأيام عند الله وهو يوم النحر**، وقد قال رسول صلّى الله عليه وسلّم: **«أعظمُ الأيَّامِ عندَ اللَّهِ يومُ النَّحرِ، ثمَّ يومُ القُرِّ»**[61]، ويوم النحر هو اليوم العاشر يوم العيد، ويوم القر هو اليوم الحادي عشر .

وأيضًا ورد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: **«إنَّ يومَ عرفةَ ويومَ النَّحرِ وأيَّامَ التَّشريقِ عيدُنا أَهْلَ الإسلامِ ، وَهيَ أيَّامُ أَكْلٍ وشربٍ»**[62].

وهو شعيرة عظيمة لا بدّ من إظهارها، وإظهار الفرح بها، نتعبّد الله بإظهار الفرح بالعيد والتوسيع على أبنائنا، لأجل أن يبقى هذا اليوم العظيم يوم العيد محفورًا في قلوبهم.

---

[60]() أخرجه الترمذي (749).
[61]() أخرجه أحمد (19075) وأبو داود (1765).
[62]() أخرجه أبو داود (2419).

- **وفي عشر ذي الحجّة تتضاعف الأعمال**، وتُفضَّل فيها على غيرها من الأيام، ففي الحديث الذي أخرجه البخاريُّ في صحيحه عن ابن عبّاس عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: **«ما من أيامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ العَشْرِ، قالوا: ولا الجهادُ في سَبيلِ اللهِ؟ قال: ولا الجهادُ في سَبيلِ اللهِ، إلَّا رجُلٌ خرَجَ بنَفْسِه ومالِه ثم لم يَرجِعْ من ذلك بشيءٍ»**[63].

ما هي الأعمال الفاضلة فيها؟

فيها فضل الذكر والدعاء والتهليل والتكبير والتحميد، كما مرّ معنا: **(وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ)**، وهذه الآية في سورة الحج تشير إلى عشر ذي الحجة.

وقد ورد أيضًا أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم قال: **«أفضلُ الدُّعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ أفضلُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّونَ من قبلي لا إلَه إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ لَه»**[64] يعني التوحيد، ذِكر الله أعظم ما يقال.

وفي الحديث: **«ما من أيامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ العَشْرِ، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»**[65].

فهذا كله يشير إلى هذا العمل العظيم.

نود الآن أن نجمع كل الذي مرّ معنا، ونضيف عليه ما يتيسّر من أعمال، ففي هذه الأيام العمل الصالح عند الله يكون عظيمًا، يُعمل

---

[63]() أخرجه البخاري (969).

[64]() أخرجه الترمذي (3585).

[65]() أخرجه أحمد (5446).

فيها كل عمل صالح؛ سواء كان لازمًا أو متعديًا من أعمال البرِّ والإحسان.

ومن أهم ما نعتني به :

- **الصلاة:** أوّل إحسان يكون من الإنسان في هذه العشر المباركة هو الإحسان في الفرائض، وأوّل فريضة هي الصلاة، فمن أعظم الأعمال التي يجب علينا العناية بها الصلاة:

- **فنعتني** بأوقاتها من جهة عدم التأخير.

- **ونعتني** بالسنن، سواء كانت الرواتب أو السُّنن في نفس الصلاة -سنن الصلاة-.

- **ونعتني** بجمع القلب على الصلاة.

- **ونعتني** بإطالة تلاوة القرآن داخل الصلاة.

وهذا من الأعمال التي نغفل عنها خصوصًا تلاوة القرآن داخل الصلاة له أجر عظيم، وكلما قرأت أكثر خصوصًا في صلاة الفجر التي هي الصلاة المشهودة يكون في هذا فضل أعظم، والمسألة هنا يُقصد بها التلاوة التي يُعرَف قدرها شرعًا بدون تجاوز ولا غُلو ولا جفاء في هذا الأمر العظيم، فيكون مستحسنًا أن نراجع كلامًا عن الخشوع، وأن نراجع محفوظاتنا لنتلوها في الصلوات، فهذه الفريضة العظيمة يجب إعطاؤها أكبر قدر من الاهتمام.

- **ونعتني** أيضًا بالذكر بعد الصلاة.

يعني ما عُرف من الاستغفار والتسبيح، فهذا له فضائل عظيمة، فيكون محبوبًا مراجعة هذه الفضائل، وماذا للمسبِّح والمهلّل والمكبّر بعد كل صلاة، لأجل أن يزداد شوق النفس لهذه الأعمال وتنشط لها ويحصل الاحتساب كما ينبغي، فتنتظر أن تذهب ذنوبك التي هي مثل زبد البحر مع إتمامك لهذا الاستغفار وإتمامك لهذا التسبيح.

- **الحج:** الحج أشهر معلومات منها هذه العشر، وهذه العشر أقرب ما تكون إلى يوم عرفة أو يوم العيد، لذلك قربها من يوم عرفة ومن يوم العيد جعل لها فضلًا، وهذا من فضل الله علينا، ويشارك غير الحاجِّ الحاجَّ في هذه الأمور.

- ويقابل هذا **فرائض متعدّية**، مثل برِّ الوالدين، وغير ذلك من الأمور المتعدّية المفروضة، فعلينا العناية والاهتمام بها.

- **الصيام:** من الأعمال الفاضلة الصالحة في أيام العشر، وقد ورد أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر.

ملاحظة: العشر كلمة للتغليب، فالصيام من أوّل يوم في ذي الحجّة إلى اليوم التاسع؛ لأن اليوم العاشر كما هو معلوم يوم عيد يحرم فيه الصيام.

ويبقى هنا دائمًا سؤال: هل نصوم العشر؟

كثيرًا ما يأتي أحد في هذا الموضوع ويقول إن الإمام مسلمًا قد أخرج في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **«ما رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم صَائِمًا في العَشْرِ قَطُّ»**[66].

وفي الجواب عن هذا ذكر بعض أهل العلم -كما في كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه للأثرم- ما يلي:

"فأمّا حديث عائشة الأول؛ فإنّه ليس فيه بيان مذهب، وذلك أنّها لما حكت أنّها لم تره صائم العشر؛ فقد يكون ذلك على أنّه لم تره هي، ورآه غيرها، وذلك أنّه إنّما كان يكون عندها في الأيام يومًا، وقد يكون ذلك على أن يكون لم يصم العشر على أنّه ليس بواجب، ومن صامه فله فضل، فليس في هذا بيان".

أي أن حديث عائشة يدلُّ على عدم وجوب هذه الأيام؛ لكن لا يدلُّ على النهي عن صيامها، لماذا؟

لأننا نقول أنّ النبيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: **«ما من أيامٍ العمَلُ الصالحُ فيها أحَبُّ إلى اللهِ من هذه الأيامِ العَشْرِ»**[67]، و"العمل" هنا مفرد ومعرّف بـ(ال)، يعني أريدَ به جنس الأعمال الصالحة، والصيام لا شكَّ أبدًا أنّه من الأعمال الصالحة، فيكون تابعًا للأعمال الصالحة، وهو عمل عظيم نتقرّب به إلى ربّ العالمين .

---

[66]() أخرجه مسلم (1176).
[67]() أخرجه البخاري (969).

وننتبه هنا إلى نقطة مهمّة؛ فحين نصوم نكون ذاكرين لربّ العالمين، فيصبح للصيام طعمه؛ لأنّ العبد يكون فيه حريصًا على نهاره أن يبقى ذاكرًا لربّه، مذكِّرًا لنفسه أنّ هذا الصيام إنّما يريد به وجه الله ورضا ربّ العالمين.

- **الذكر:** وقد مرّ معنا أنّ من الذكر قراءة القرآن، وهنا أثر عن ابن عبّاس رواه عبد الرزّاق في مصنّفه قال:

عن ابن عيينة، عن أبي بكر الهذليّ، قال: "دخلت على الحسن وهو يصلي، فذاكرت ابنه شيئًا من القرآن، فانفتل إلينا فقال: ماذا تذاكران؟ قال: قلت طسم وحم، قال: فواتح يفتح بها القرآن، قال قلت: إن مولى ابن عبّاس قال كذا وكذا، قال: فما إلّا أن ذكر مولى ابن عبّاس فقال: إن ابن عبّاس كان من الإسلام بمنزل، إن ابن عبّاس كان من القرآن بمنزل، كان عمر يقول: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سؤولًا، وقلبًا عقولًا، كان يقوم على منبرنا هذا -أحسبه قال: عشيّة عرفة-، فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران، يفسّرها آية آية، وكان مَثَجَّةً بَحْرًا غَرْبًا"[68].

- كان يقوم على منبرنا هذا: الخبر عن شاهِد يُشاهِد ابن عبّاس.

- عشيّة عرفة: يعني بعد صلاة الظهر من عرفة، ولم يكن ابن عبّاس حاجًّا، كان يقوم يذكّر.

- فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران، يفسّرها آية آية.

---

[68]() مصنّف عبد الرزاق (8123).

فمن هنا ذكر بعض أهل العلم أنّ قراءة البقرة وآل عمران في هذه الأيّام وفهمهما يكون من منهج أصحاب النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وهذا لا نزاع فيه لأن البقرة وآل عمران لهما فضلهما.

هل نخص هذه الأيّام بهما؟

هذا الأثر يدلُّ على العناية بهما، قراءة القرآن عمومًا لها فضل عظيم، والبقرة وآل عمران أيضًا لهما فضل عظيم، وفِعل ابن عباس هذا مُرشد لنا للاهتمام بالبقرة وآل عمران، فإن تيسّر ختم القرآن فالحمد لله، أو فلنقرأ البقرة وآل عمران ونحاول فهمهما كما حصل من ابن عبّاس رضي الله عنهما.

- **النسك:** وهو من الأعمال العظيمة التي يجب أن يُنبَّه لها ويُعتنى بها، وقد أخرج البخاريُّ في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: **«مَن ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاةِ فإنَّما ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، ومَن ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلاةِ فقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وأَصابَ سُنَّةَ المُسْلِمِينَ»**[69].

المقصود أن النسك المجزئ يوم النحر يكون بعد الصلاة، ومن ذبح قبل الصلاة فليست ذبيحته أضحية؛ إنما يستفيد من لحمها، فالأضحية لا بدّ أن تكون بعد الصلاة.

والأضحية لها أحكامها المعروفة، وهي من الأعمال الخاصّة بهذه الأيام، فلا يزهّدكم فيها أحد، فإنّ من الجهل أن يقول قائل: نبذل مالًا

---

[69]() أخرجه البخاري (5546).

خير من أن نذبح ذبيحة! لا بدّ أن نعرف أن النسك وإراقة الدماء محبوبة عند الله، وهي من شعائر الإسلام، فيجب إظهارها في ذاك اليوم العظيم.

ويجب الاهتمام بأن تكون أحسن ما تكون، وحتى لو حصل غلاء وأنت ميسور الحال فلا تبخل أن تأتي بأحسنها، وقد ورد كثير من الأحاديث والأخبار عن الصحابة الكرام التي تدل على أنهم يطلبون أحسن ما يكون، وأسمن ما يكون؛ ليتقرّبوا به إلى ربّ العالمين.

- **صلاة العيد:** ومن الأعمال الصالحة صلاة العيد، وهذا لغير الحجاج، وقد ورد في البخاريِّ عن أمِّ عطيَّة أنّها قالت: **«كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يَومَ العِيدِ، حتَّى نُخْرِجَ البِكْرَ مِن خِدْرِهَا، حتَّى نُخْرِجَ الحُيَّضَ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فيُكَبِّرْنَ بتَكْبِيرِهِمْ ويَدْعُونَ بدُعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذلكَ اليَومِ وطُهْرَتَهُ»**[70].

فهذا يوم عظيم ينبغي أن لا يأخذنا فيه الكسل أو النوم أو الاستعداد لاستقبال الذبيحة عن الانتفاع من صلاة العيد، وأكيد أن هذا اليوم سيكون مثل الأيّام التي قبله في مسألة التكبير والاهتمام به.

---

[70]() أخرجه البخاري (971).

ويحسن هنا أن نبيّن صيغ التكبير والتهليل والتحميد في أيام العشر:

أوّلًا نقول: الأمر في الصيغة واسع، وأحسنها ما كان عليه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- والسلف الصالح، وقد روي عنهم عدّة صيغ، منها ما رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه:

- عن إبراهيم قال: كانوا يكبّرون يوم عرفة وأحدهم مستقبل القبلة في دبر الصلاة يقول:

«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد»[71].

- وعن الحسن أنّه كان يكبّر:

«الله أكبر ، الله أكبر» ثلاث مرات[72].

- وعن ابن عبّاس أنّه كان يقول:

«الله أكبر كبيرًا، الله أكبر كبيرًا، الله أكبر وأجَلّ، الله أكبر ولله الحمد»[73].

والمهمُّ أن نعرف أنّ الأمر في هذا واسع، والتكبير المطلق من أول يوم في العشر إلى أن نصل إلى غروب شمس يوم الثالث عشر من أيام التشريق.

---

[71] () مصنّف ابن أبي شيبة (5650).
[72] () مصنّف ابن أبي شيبة (5654).
[73] () مصنّف ابن أبي شيبة (5655).

أما التكبير المقيد لغير الحجاج فقد ورد فيه شيء من الخلاف:

- ذُكر عن عليّ أنه كان يكبّر من بعد صلاة الفجر من يوم عرفة، إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق، هذا قول.

- وهناك من كان يكبّر من صلاة الظهر من يوم عرفة، إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق، فهذا قول آخر.

- وهناك من رأى أنه من يوم النحر وليس اليوم التاسع.

لكن الذي عليه العمل اليوم والله أعلم أنه من فجر يوم عرفة، إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق، هذا لغير الحاج، فبعد انتهائك من الصلاة المفروضة تقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وتستغفر ثلاثًا، وبعدها تكبّر. وهذا أحسن الأقوال.

من فضل الله -عزّ وجلّ- أن يكون العبد قد خُصَّ له زمان يُكثر فيه من التكبير والتهليل والتحميد، فيكون اللسان مشغولًا دائمًا بذكر الرحمن، ويلوم المؤمن نفسه لو ضيّع وقتًا في غير هذا، ويكون هذا الأمر مشتركًا بين الناس، هذه ميزة عظيمة؛ لأنك ستجد هذا يذكر وهذا يذكر؛ فيسهل الأمر عليك، وهذا نوع من الإعانة.

وهنا يكون من الأعمال الجليلة أن نذكّر الناس بذكر الله، ونذكّر الناس بالتكبير، لكن مع هذا لا تنشغل بهم، لا تنشغل أبدًا عن الذكر، فلتكن ما بين قراءة القرآن وذكر الله، وهذا يكون بمقام التدريب للمؤمن على ألّا يلتفت عن الله، وعلى أن يكون قلبه مشغولًا بالتفكّر

والتدبّر، مشغولًا بإثارة الشكر وتذكّر النعم، وأعظم النعم أننا من أهل الإسلام وأننا على السنّة، نسأل الله أن يحفظ علينا السنّة، وأن يبعدنا عن البدعة.

وقد ظهرت بدع تخص هذه العشر، مثل:

-تخصيص الأيام العشر بزيارة القبور، أو إحياء ليلة يوم النحر بصلاة خاصّة، وهذا لم يرد، فقيام الليل إذا كان من عادتك فلا بأس، أما أن تخصَّ ليلة العيد بقيامٍ خاصٍّ فلا.

-أيضًا هناك صلاة يسمّونها صلاة يوم عرفة!

-وهناك ما يسمّى بإحياء التعريف، وصورته أن يجتمع الناس في المسجد عشيّة عرفة ويذكرون الله بصورة جماعيّة، وهذا منتشر ولا أصل له، وقد ورد عن السلف رحمهم الله إنكاره، وفي رواية أن قومًا اجتمعوا يوم عرفة بمسجد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يدعون بعد العصر، فخرج نافع مولى ابن عمر من دار ابن عمر فقال: "يا أيها الناس، إنّ الذي أنتم عليه بدعة وليس بسُنّة، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا"، ثم رجع فلم يجلس، ثم خرج في الثانية ففعل مثلها ثم رجع.

تصوّروا من ذاك الزمان دخلت هذه البدعة على المسلمين، بمعنى أنها جاءت في زمن التابعين.

وهذا قد ذكره أيضًا ابن عون، قال: "شَهِدتُّ إبراهيم النخعي سئل عن اجتماع الناس عشية عرفة؛ فكرهه".

ماذا يعني اجتماع عشية عرفة؟

يجتمعون في المسجد بعد الظهر ويجلسون للدعاء، وهذا بدعة.

نسأل الله أن يسلّمنا من البدع وأهلها، ونسأله أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا فقهًا وعلمًا واجتهادًا في هذه الأيام المباركة.

نسأله أن يرزقنا توبة نصوحًا، وعملًا متقبلًا، وأجرًا عظيمًا، وأن يغفر للمسلمين والمسلمات أجمعين، وأن يُظهر حزبه الموحّدين على المشركين أعداء الدين، والحمد لله ربّ العالمين .

اللهمّ أتمم علينا نعماءك، وتقبّل منّا أعمالنا، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.

اللهم يسّر على الحجاج حجّهم، وتقبّل منهم، واغفر لموتانا وموتى المسلمين، اللهمّ آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس

اللقاء الأول	2
اللقاء الثاني	16
اللقاء الثالث	31
اللقاء الرابع	48